

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل

(قراءة في كتابات عز الدين جلاوي للأطفال)

The narrative heritage by acting for adapted literature for the child

(Reading in the writings of Izz al-Din Jalawji for children)

فصيح فاطمة الزهراء¹، فنطازي محمد²

¹جامعة عمارثليجي (الأغواط)، fz.facih.ar@lagh-univ.dz

²جامعة عمارثليجي (الأغواط)، Mohamedfentazi62@gmail.com

مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات

تاريخ الاستلام: 2023/10/22 تاريخ القبول: 2024/02/14 تاريخ النشر: 2024/03/03

ملخص:

إن عملية التصرف في النص التراثي بغية تكييفه مع مستوى قراءة الأطفال عملية ضرورية وطبيعية وواقعية، ذلك أن الموروث ليس كله صالح كما هو لأن يوضع بين يدي الطفل بل إنه يتوجب مراعاة شروط وخصوصية المرحلة العمرية فالتصرف الأدبي في الموروث حقيقة لا بد أن تؤخذ على محمل الجد في هذا النوع من التأليف لأهميتها ولخضوعها لآليات وضوابط تتعلق بالموروث من جهة وبأدب الطفل من جهة أخرى وهذا الحرص المنهجي في التصرف هو ما يترصده البحث في النموذج القصصي والمسرحي في أدب الطفل لدى عز الدين جلاوي.

كلمات مفتاحية: الموروث – الحكوي- التصرف الأدبي- أدب الطفل – التكييف-

قراءة. عز الدين جلاوي

Abstract: The process of disposing of the heritage text in order to adapt it to the level of reading children is a necessary, natural and realistic process, so that the heritage is not all valid as it is to be placed in the hands of the child, but it must take into account

the conditions and privacy of the age stage, the literary disposition in the heritage is a fact that must be taken seriously in this type of authorship because of its importance and its subjection to mechanisms and controls related to the heritage on the one hand and children's literature on the other hand, and this systematic care in the disposition is what the research monitored In the narrative and theatrical model in children's literature by Ezzedine Jalawji.

Keywords: Folklore, popular heritage, The storytelling, the tale, Literary disposition, Children's literature, conditioning -reading, Ezz Al-Din Jalawji

***المؤلف المرسل: فصيح فاطمة الزهراء**

إنه ليس من محض المصادفة أن يتواعد الأطفال قراء مع نصوص مقتطفة تبدو مع عمق دلالاتها واستشرافها ضاربة في التراث الحكائي العربي والعالمي والقصص الشعبي المحلي فتبدو مع ذلك مذلة اللغة طيبة الأسلوب وفي المتناول من حيث سلاسة المباني ووضوح المعاني في ضرب السهل الممتنع، وفي غمرة هذا التلقي المحموم وفي غفلة منه إذا بعبارة "بالتصرف" تنتصب في آخر النص لتوثق بأمانة تغيرات عديدة ومتباينة طرأت على النص لغايات ما، فلا نقنع ذاتنا المتلقية الصغيرة إلا بأنها وردت هنالك لتتحدانا وتدهشنا وتثير فضولنا دون أن ندرك كمها ومعناها، وحين يحاول ذلك الفضول أن ينتمي للدرس النقدي عبر ورقة مثل هذه ليسبر غور هذه الكلمة من أين أتت ولما وكيف؟ إذا به يكتشف أنه لا تحريات نقدية كافية حولها ولا ضبطا مستقلا لحدها ولا صياغة نهائية لإجراءاتها: فما التصرف الأدبي وما إجراءاته على المتن التراثي، وهل سدد المؤلف حقا في تقريب هذا المتن إلى إحدائياته الجديدة في أدب الطفولة؟.

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل (قراءة في كتابات عز الدين جلاوي للأطفال)

أهداف الدراسة ومحدداتها المنهجية:

أ. تهدف هذه الدراسة عموماً إلى مقارنة تقنيات التصرف في المتن التراثي، تحديداً في كتابات جلاوي بوضع اليد على حقيقة استنطاق الظاهرة التراثية بلسان أدب الطفل.

ب. مفاهيم: - الموروث الحكائي:

التراث في المعاجم العربية يقبع تحت المادة وَرَثَ، وهو فعل ثلاثي المصدر وفي اللسان: الوِرْثُ والإِرْثُ والتَّرَاثُ كله واحد والموروث من اسم المفعول، وفي الحديث الشريف، إليك مآبي ولك تراثي وهو ما يخلفه الرجل لورثته، والتاء فيه بدل الواو (منظور، 1992) وأما في القواميس الحديثة ومنها معجم المصطلحات فالموروث يعني كل ما خلفه السلف من آثار علمية وأدبية مما يعتبر نفيساً بالنسبة لتقاليد العصر وروحه، مثال ذلك الكتب المحققة وما تتضمنه المتاحف والمكتبات من آثار ومخطوطات، وكل ما هو جزء من حضارة الإنسان (حسين، 1988)

وأما الحكاية فمن المحاكاة أي المشابهة والتقليد، وحكوت عنه حديثاً في معنى حكيته (منظور، 1992، صفحة 904) والحكاء الكثير الحكاية (إبراهيم، 2014) والحكاية ميدانها هي رواية الكلام على ما جرى عليها وعلى ما تخيل أو الجمع بين ذلك، وهي القصة المطولة الكلاسيكية المروية عبر أجيال تتكى على فكرة محورية أو وقائع يطعمها فعل الحكي بالخوارق ولا تنفك عن وظائف الحكي وموضوعاته، وتكاد تقارب بمقاييس عصرنا هذا فن الرواية، والموروث الحكائي تواضعا هو ما وصل إلينا من جنس الحكاية مما نشأ قديماً عبر فعل الحكي وحفظ في الصدور فتناقلته الألسن بعد حين عبر الرواية الشعبية والسير كما القصص الديني وعبر الاستمرار في ضرب الأمثال في مضاربهها، وألحق بذلك تجوزاً كل ما اعتمد الفعل السردي أو تضمن الحد الأدنى من مقومات القص للإخبار التاريخي والتداول للوضعيات الأصلية من موارد الأمثال أو مناسبات الحكم أو سياقات الأحاجي

فصيح فاطمة الزهراء

وفنطازيا الشعوب وطرائف ظرفائهم كل ذلك ضم إلى الموروث حكائي تماشيا مع عينة الدراسة ووقوعها في مجال الحكى.

- أدب الطفل ماهيته وأهمية صياغة الموروث للطفل :

وأما أدب الأطفال فإنما هو ذلك النتاج الأدبي أو الحمولة الفكرية ذات الصياغة الأدبية التي تتناسب وقراءة الأطفال وتدعم نموهم الوجداني والعقلي واللغوي وتغذي فيهم الإحساس والذوق، وتدعم صلابتهم النفسية. ويعتبر هذا الأدب قناة تواصلية مهمة لكل أطراف العملية الأدبية ومكوناتها، لذا فإنك إذ تألف للطفل بين النصوص أو تتصرف في ميراث ما أو تستلهم له أدبا جميلا من مصدر سابق، لست تقدم له خدمة ترجو منة من ورائها أو مجد، وإنما تقدم لنفسك فرصة باهظة لتحريك هذه العجلة ككل كما أنها فرصة استثنائية أيضا لتحيين استقبالك، فتححرر قراءتك للتراث من هيمنة الرشد المؤدلجة والنمطية على الأغلب، عطفًا على ذلك كان التهييب من الكتابة الموجهة لمتلق خاص حديث السن صافي الذهن دقيق وحساس وبكر التلقي ليس تهيبًا من فراغ، فالكاتب الذي يملك حنكة في التأليف وتجربة رصينة لابد أن يعي متطلبات المرحلة فلا يمكن منطلقًا وواقعا لأي طفل كيفما كان وضعه وذوقه وببئته واستعداداته أن يتلقى بشكل طبيعي عملا أدبيا ليس على المقاس، لأجل ذلك ولأجل الكثير غيره كان الإقدام على هذا الفرع من الكتابة مجازفة ليست بمأمونة العواقب، فالسالك لهذا الدرب ليس يرنو إلى بوح أشجان أو مشاغبة معان، بل إنه يحمل على عاتقه مهمة هي الغاية في الحساسية والحافة في الخطر والقمة في الخصوبة والجدوى، إذ أنّ التعليمية في الأساليب والتربوية في المضامين مع أهميتها ليست سوى النزر القليل من مخرجات وآفاق هذه الشعبة من الكتابة التي تؤتي أكلها كل حين، وتحمل بذورها النصية في ذات الكتابة وذات التلقي. إذ ذلك وجب على حامل هذا العبء الجميل أن يحترف هذا النوع من التأليف كي يستأمن ويستولي على نواصي التكييف وآليات التصرف وأما دور الباحثين فمزيد من

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل (قراءة في كتابات عز الدين جلاوي

للأطفال)

الاهتمام بهذه القضايا لتذليل السبل إلى صقل إستراتيجية تجدي في هذا المجال ، وقد بات من المعلوم أن التحوير والتعديل قد يغدو مهمة أكثر صعوبة من الابتكار، خاصة إن تعلق الأمر بمتن متعال أو شبه مقدس -كما يحلو للبعض أن يعتقد- وعلى سبيل أخص إن كان لأجل غاية هي كذلك لا تخلو من دقة وخطورة، فتكييف الموروث للطفل يعد مراعاة لمقتضى الحال وتحديا تعين على من يرفعه أن يضع يده على الزناد وعينه على أصالة المتن التراثي والشروط معا، فلا يهمل معايير أدب الطفل ولا يفقد في غمرة الكتابة خصوصية الموروث الحكائي، وإذ ذاك وفي خضمه لابد أن يخلق إلى الوجود جنس ثالث بيني الموقع يجلس متربعا في المنطقة الوسطى ما بين المتن المنبت والنص السليل أو المحين، غير أن ثمرة الأقلمة هذه تستدعي ملكات ومهارات مجتمعة ومتسقة بحيث تعمل معا أحيانا وكل واحدة على حدة في أحيان أخرى، فكل آلية تستدعى في مكانها وحسب الطلب، فكأنما أنت تستلهم من التراث تارة وتوظفه تقليديا تارة، فعملية إعادة الكتابة هذه ليست عملية جزافية أو جهد تكراري عابث، إنما هي تجشم واعي عناء تحويل نص ما بسياقاته التراثية والشعبية الأصيلة من حقل قرائي راشد ومستوي إلى حقل قرائي غض وعفوي، يشق طريقه إلى الرشد بسرعة جنونية تجعل من الإرسال إليه أو التواصل معه عملية توشك أن تضاهي حوادث سرعة وخيمة .

- العلاقة المصدرية بين الموروث الحكائي وأدب الطفل :

منذ البدء توطدت العلاقة بين التراث الإنساني وحكايا الأطفال وأمهوراتهم لدى الأمم جميعها لشراكة الحضارات في وجودهما، فقد وجدت خطابات موجبة للأطفال أو على ألسنتهم في بطون التراث، وهذا التزامن المسلم به يعد حلا نهائيا على أي إشكالات أو جدل يتعلق بهذه الأصرة الطبيعية من حيث الأسبقية في الوجود، فحدائث أدب الأطفال ليست لصيقة إلا بتناوله الأكاديمي وعلى طاولة الدراسات النقدية أو الوعي بضرورة الاهتمام به وبتفاصيله كنقاط يتوجب الاشتغال عليها من

فصيح فاطمة الزهراء

أجل صياغة وتعميم معايير وتقنيات تجوّد وتصقل استعدادات الكتابة في هذا الفرع المهم ، فواضح إذن أن التراث هو المصدر الرئيس الذي يمتح منه أدب الطفل ببداية، ففي بداية تشكل الاهتمام بهذا الأخير كانت هذه الهيمنة المرجعية أمراً معلوماً ولا إخراج فيه في أعرف هذا الفرع من الكتابة، فالتمثيل وليس على جادة الحصر نرى مدى استلهاً الكتاب في أوروبا من حكايا وقصص تراثهم الغربي كالأخوة جريم وألس في بلاد العجائب ووصية الابن والفرسان الثلاث وحكايات ماما الإوزة(جلولي، 2003)كلها مع غيرها نتاجات يلوح من خلفها التراث اللاتيني فقد اعتمد أصحاب هذه الأعمال تقنيات جادة للإفادة من المأثورات فوظفوا ما حلا لأقلامهم ولأفاق مستقبلية أعمالهم من موضوعات ونماذج ورموز صقلت بما يوائم أدب الأطفال لديهم.

وأما التراث العربي واستلهاً أدب الأطفال منه فقد شكلت النثرية الشعبية والسرديات الضاربة في القدم، والظواهر الطقسية خامات تنبع وتفيض ولا تكاد تنضب مهما نهلت منها الأقلام المنتصرة، فما أكثر أيام العرب جاهليتها وما أكثر أخبار أممها وملوكها خيالها ووقائعها، ولعل من بين أهم هذه المناهل التي اعتمدها من كتبوا للطفل كتاب التيجان وأخبار الملوك وتاريخ الأمم والأغاني والعقد الفريد(جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، 2003) والبخلاء والحيوان والمقامات والأميرة ذات الهمة، وكليلة ودمنة وقصص الألف وليلة بعد أن تماهت مع التراث العربي والكثير الأثر الذي استدعت أجزاء منه وأعيدت صياغته أو اقتبس من ضواحيه لكي يقدم للطفل في صورته النهائية مكيفا طلبا لفتح قريحته على التراث فإعادة تحريك عجلة النص التراثي وإرساءه دون النقل الحرفي منه.

ولا يكاد يكون للحكي في أدب الأطفال هنا في الجزائر سوى التراث مصدرا بكل تفاصيله وأنواعه ومشاربه وطبوعه، استهلالا بالتراث الأدبي ووصولاً إلى الموروث الشعبي ، (جلولي، حضور التراث في أدب الأطفال "القصة نموذجاً، 2010)يستند

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل (قراءة في كتابات عز الدين جلاوي

للأطفال)

هذا إلى طغيان توظيف الموروث الحكائي في أدب الأطفال من قبل الكتاب في الجزائر، حيث أن هذا المتح الجميل من الموروث المنبع إلى الأدب المصعب يعد مسارا طبيعيا ومصفاة ناجعة وخطوة في سبيل طرح تراثي يخوض سجالات قبل أن يصل إلى أحضان أدب الطفل، فما التراث في نهاية الأمر سوى: (تعبير أمين عن كيان ووجدان الطفولة البشرية) (جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، 2003، صفحة 120) وعن روحها المحينة على الدوام .

- التصرف مفهومه وتداوله ومناطق التداخل الاصطلاحي .

هو تلك العبارة الذائعة الصيت والتي عادة ما تذييل غالبية النصوص المقررة في الكتب المدرسية أو الحرة في توجيهها إلى الأطفال، والتصريف هو تلك الخطوات الإجرائية في التأليف التي كثيرا ما تطبق بطريقة عفوية على نص سابق بغية تكيفه مع ظرف قرائي راهن أو مساحة في متن إعلامي أو تواصل، وهو بالأساس طوارئ تمس النص الأصلي لأجل غايات أهمها التكييف مع راهن التوجيه، إن مصطلح التصريف وضواحيه من تكييف وأقلمة رغم شيوعه في تذييل النصوص كونه مفهوما وآلية من آليات التأليف والترجمة والنقد التطبيقي لم يأخذ حقه من الدرس ولم تفرد له نظرية تمدده باستقلالية تليق به من بين آليات هي أقل تداولاً وأهمية قد نظّر لها وضبطت تخومها، ومع أن حقيقة غياب المنهج تبدو أكثر رحابة وحرية في التصريف، مع ذلك فإن القاعدة وما تفرزه من خطوات لا بد أن تمنح المتصرف في النص وضوحا في الكيف والغاية والأثر، وهو ما يجنب المتصرف أن يتجاوز الحدود القصوى لهذه العملية أو أن يجانب الصواب، فالتصرف ممارسة نقدية تمتلك إطارها وإن لم تكن قد امتلكت خارطة نهائية، كما أنه عملية تتسم بالتكرارية والديمومة مما يجعل النص المطبق عليه هذا الإجراء يغدو نتاجا آخر من وحي النتاج الأصل، يتوخى توقعات جديدة ويفتح آفاقا أخرى، كما يحقق أغراضا غير التي استهدفها النص المنبث، مع بقاء هذا الأخير ثابتا مستقلا في محل ثان مواز.

فصبح فاطمة الزهراء

هذا ومن الواضح أن التصرف في النص التراثي لا يكون إلا وليد الحاجة، حتى وإن قال قائل إنه يحدث يكون فضلا لا عمدة في التأليف، كأن يتخذ طلبا للتجمل أو تحت مأرب التقريب، فهاتين الغايتين أيضا تعد من الحاجات الأساسية للنص المتصرف فيه، فلا بد من سد الفجوات الثقافية وتقريب المسافات الأيديولوجية، ولا غنى للنص الأدبي عن الزينة والتجمل (آمنة، 2019)، وغير بعيد عن التصرف نلفي مصطلح التكييف الذي لا يعد آلية تعديل أخرى بقدر ما يعد حيزا أعم وأشمل للتصرف أو أنه الغاية ذاتها من التصرف، فهو يحمل وجهته في متن اسمه، مع أن المصطلح تابع إلى حقل الترجمة (بوعلاق، 2017) فهو أيضا جعل النص المشتغل عليه مناسبا لعملية تلق دقيقة يستهدف فيها الأطفال قراء، وقد اتخذت هذه المهمة مطية للوصول إلى مستوى يوائم استقبال الطفل بمبررات كافية، أهمها أن اللغة التراثية في الوعي الكتابي قد تعد وبجدارة لغة أخرى بمستويات خطابية تداولية أخرى بسبب البون الشاسع والفروق العامة والتفصيلية إن من حيث الشكل والقوالب أو المضامين والحمولات بين مقاييس الكتابة للطفل وما درجت عليه الكتابة عامة، فنحن نجحف الطفل والموروث معا إذا ما سلمنا هذا الموروث حرفيا حواس وأذواق وقرائح القراء حديثي السن، وليس علينا أن نتحجج بتقديس الموروث الحكائي والتقاط صور تذكارية معه كما هو على هيئته، فهذا القارئ الغض التلقي لا بد أن يزهر ويشتد عود لغته وتورق أوصال فهمه ومداركه وينضج عاطفيا ويقوى على الفتح الاحتمالي ليلتقط خياراته بنفسه إذ تحمله الحاجة والحنين إلى مراتع الخامات التراثية الأولى، يغترف منها مباشرة وأنى شاء منها دونما وسائط من أقلمة وترجمة وتكييف وتصرف ودون الحاجة إلى سنن ودواليب التوظيف والتناس، فلا يتعامل مع هذه الوقائع النصية الأخيرة إلا بوعي تام منه وقصد واع إليها.

للأطفال)

ج. خطوات التصرف من وحي المعايير:

وإنه لجعل التراث الأدبي والموروث الشعبي في متناول الأطفال وجب الإمام بمعايير الكتابة لتلك المرحلة والوعي بخصائصها النفسية واللغوية والوجدانية كما ينبغي الإحاطة بالتراث-مصادره وخصوصياته- والتمكن بعد ذلك من آليات وسبل الألفية، وبذلك تتضاعف المهارات والحرف التي ينبغي على الكاتب للطفل أن يستحوذ على نواصيها ولعله من بين أهم هذه السبل ما يلي:

1. الانتقاء: أكثرها تداولاً بين سبل التكيف بالتصرف وذلك للسهولة ونجاعة هذا الإجراء القبلي، كما أنه الغالب لتبني العقلية السائدة بقداسة التراث، فالانتقاء يجنب الكتاب المساس بمبانيه ومعانيه وروحه.

2. التبسيط والإيضاح بغرض سلامة وسلاسة الاتصال: بهما يغدو النص التراثي في مرمى التلقي بالنسبة للطفل كي يستوعبه ويفيد منه بل فيكتسب من خلاله ثراء معرفياً واتساعاً في معجمه الدلالي لبسط الدلالات والمفاهيم بطريقة تصل بمرونة إلى الطفل ومن وراء ذلك مناشد تربوية وثقافية أيضاً.

3. الحذف والإضافة: بغرض الاقتصاد اللغوي والملائمة الكمية، إذ ينبغي أن تختزل المادة التراثية في مواطن فيحذف منها ما زاد عن الحاجة لتجنب الإسهاب فيها، أو من حيث تأجيل تلقينها فلا يستبقى إلا ما يناسب المرحلة العمرية من تراث، فمن المحتويات ما قد تضر بالطفل قارئاً أو تصدم نفسيته أو إدراكه العاطفي، كالعنف اللفظي أو الإيحاءات الجنسية أو الخوارق الغيبية المخيفة أو الجدل السياسي والطائفي والديني، أما الإضافة فتتعلق بالزيادة في الوصف للظواهر والشخصيات والرموز والأيقونات التراثية التي يحتاج أن يتخذ منها قدوة أو إضافات من خارج التراث شاعت في أعراف الكتابة للناشئة وأصبحت محببة ومرغوبة.

4. التعويض: صيغة تراثية بصيغة أخرى مشابهة أو محتوى بمحتوى مشابه أكثر اتساقاً داخل النص الموجه للطفل أو تعويض الإطار الكلي أو الجنس الأدبي فمثلاً

فصيح فاطمة الزهراء

من حكاية إلى مسرحية لمناسبة وضع أو تماشيا مع نغم أو لون أو وفاء بشرط السياق النصي ذاته، وكذلك الدمج والمزج بين ما هو تراثي وحدائي للصنع وصفة تحتفي بالتراث وتتماشى وروح عصر الطفل، وبغرض جعل النصوص ذات دلالة بالنسبة إلى الطفل، وكذلك التكرار لأغراض ترسيخية ويندرج هذا الإجراء تحت الغرض التعليمي أيضا.

5. الاقتباس بغرض الاستشهاد: أو النقل الحرفي في مواضع لأغراض حجاجية وللحاجة إلى إقناع المتلقي الصغير بقيمة أو حقيقة أو وجهة نظر مبثوثة في ثنايا التراث الأدبي أو الشعبي والاستشهاد بمقولة مأثورة أو مسلمة تراثية .

6. المبالغة والتشويق بغرض الجذب : زيادة في التعظيم أو التحقير لجذب انتباه يخدم التراث ذاته زعرا له في نفوس الناشئة، بلفت مواهب الطفل الإبداعية من خلال تركيز الضوء على بعض المضامين والأساليب التراثية والنماذج الشخصية التي تحمل بوضوح سحرا وفتناتيا وغرائبية محببة تشد إليها طاقة واهتمام الطفل فتجعله يحلم وربما يعيد إنتاج هذه العجائبية هو الآخر بمخيلته الفسيحة والحررة، كأن يتعلق بالملاحم والبطولات والأساطير المليئة بالدهشة والهمة والعبير.

7. التكييف والترجيح: وهو نقل المحتوى من لغة لأخرى دون التزام بالأمانة التامة بغرض غرلة كل دخيل وبذلك يتم الهدم نسبيا وإعادة البناء لخلق حالة تكافؤ.

- مقاصد التصرف في المتن التراثي :

لقد تبلور الكيان العربي وفقا لمعطيات لا حصر لها كان من بينها هاجس الانتماء و روح الجماعة وهالة المعتقدات فانثق عن هذا المزيج ما يعرف بالأدب الشعبي الحكائي محاولا أن يشق طريقه ويستمر في ثقافة اتسمت بطابعها الشفوي فظهرت تلك الأنواع السردية الكبرى كمثل الحكايا الشعبية والسير والأسطورة والخرافة و القصص على لسان الحيوان والملاحم كمادة صالحة أودعها الإنسان في مخزون ذاكرة الحكيم لديه، والحكي يحتل الصدارة في آداب الأمم فهو ما استهوى

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل (قراءة في كتابات عز الدين جلاوي

للأطفال)

مخيلة الشعوب منذ نعومة أظافرها ، إنه النشاط الفطري الذي يمنح الوهم بالحقيقة في خلطة موروث محكي ضاع جله ووصل بعضه بسلام إلينا(عروة، 2000)، فمنذ فجر التاريخ لم تهدأ فصوص الحكيم تنبثق وتتلاقح يفنى أول ويخلد ثان وينهض ثالث من تحت الرماد، وتلك هي البدايات السردية خامات كانت حين إذن وهي ذاتها المستنطقة المكنونات اليوم موظفة مستلهمة مكيفة ومحورة ولك أن تسميها ما شئت في ظل غياب استقرار المصطلح، لكن الغاية بقيت مستقرة عنونها: موروث حكائي متصرف فيه من أجل أدب مكيف حسب الطلب كأن يوائم أمة أو ظرفا تاريخيا أو فئة عمرية، ولعل أوضح مثال لهذا الصدد كتاب ألف ليلة وليلة وتاريخه الطويل في الإضافات والتعديلات وما لحقه من تخيل وهالات سحرية هائلة لدرجة أنه يصعب رد هذا العمل الحكائي الموروث لمؤلف واحد بل وحتى إلى أمة واحدة(زيد، 1998) تعديلات تباينت في بواعثها ودرجاتها لكن الموائمة والتكيف مع سياقات جديدة مستهدفة ومبينة بقيت هي الغاية الرئيسة .

وإذن فإنه من وراء تقديم المادة التراثية وتحويرها مقاصد عديدة تندرج تحت هذه الغاية ذاتها -التكيف-وقد كان من بينها باختصار ربط مخيال الطفل المعاصر بالذاكرة الأدبية التراكمية كما بالمخيل الشعبي الجمعي، لصنع التماسك بين الأجيال من البشر والنصوص على السواء، ودعم نشأته بدعائم قيمية مرتبطة بالالتزام والأخلاق والتاريخ والواجب والبطولات والقوة ومشاعر الانتماء التي يحتاج إليها مكيفة في النتاجات حال حداثة سنه وبكارة تلقيه .

د . بيليوغرافيا كتابات عز الدين جلاوي الموجهة للطفل:

لم يعد شأن الكاتب عز الدين جلاوي سرا على المهتمين بالأدب بمختلف مشاربهم ووجهاتهم الثقافية والنقدية والأيدولوجية منذ أمد ، فقد فرض الأخير ذاته الإبداعية بوضوح وعلى أكثر من صعيد حينما خاض غمار أكثر من تجربة مؤلفا في كذا من جنس أدبي ومجرب في أكثر من مجال بيئي ومؤسس لأكثر من جديد واحد،

فصيح فاطمة الزهراء

وقبل كل هذا كان مستثمر جاد لفتنته بالموروث في خدمة أدب الطفل أيما استثمار فكتب مجاميع مسرحية وأخرى قصصية متحت من معين الموروث ونحتت منه ما طاب للمرسل والمستقبل معا، وقد كان من بين هذه الأعمال سلسلتين قصصيتين هما "عقد الجمان" و"غصن الزيتون" أو "السلسلة الذهبية" نشرت غالبيتها ضمن كتاب ظلال وحب في طبعة سابقة كما له أربع مجاميع مسرحية هي "السيف الخشبي" و"الدجاجة الصنيورة" و "الثور المغدور" و"الليث والحمار" حوت كل مجموعة أزيد من عشر مسرحيات تنوعت من حيث الموضوعات المعالجة والقيم المستفادة وتنوعت بين ما هو تراث عربي وعالمي وبين ما هو تراث تاريخي وتراث قصصي يسرد سيرا طريفة لظرفاء العرب أو ملاحم لأبطالهم وبينما هو طرح فني لنماذج إنسانية مثلت جوانب واقعية من الموروث كصفة السخاء والنجدة والدهاء والجشع والتطفل أو الحمق والسذاجة وكان من أعماله ما هو تراثي تربوي وتعليمي محض ومنها ما جمع كل ذلك، كما أن منها ما مسرح وقائع ثبتت تاريخيا ومنها ما كان متخيلا عانق عنان المخيال شعبي ومنها ما مسرح أعمال شعرية أو قصصية سابقة استسقت من التراث هي الأخرى، فكان تصرف من بعد تصرف، ومنها ما جسدت مسرحيا السياقات التي نشأت فيها الأمثال العربية والحكمة الشعبية، وقد ذيل المؤلف كل عمل تقريبا بفوائد لغوية معجمية أو نحوية وصرفية تحت عنوان "استفد" في آخر كل نص فضلا عن الفوائد الضمنية الجملة.

- طبيعة العلاقة بين أدب الطفل عند عز الدين جلاوي والموروث :

إن المتصفح لكتابات عز الدين جلاوي ولو من دون كبير تمعن يدرك مباشرة تلك الأصرة القوية والروابط المتينة بين كتاباته عموما وللطفل خاصة وبين الموروث في شتى صوره، فقد كتب عز الدين جلاوي عديد القصص ووافر المسرحيات من وحي هذا الموروث كما أنّ له في المقابل قصص ومسرحيات من بنات خياله تقاطعت في مواضع مع مآثورات حكائية ما، وليست العلاقة بين هذا الموروث

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل (قراءة في كتابات عز الدين جلاوي

للأطفال)

وننتاج الكاتب في هذا الصدد هي علاقة المصدر المجرد بل هي علاقة تحاورية تفاعلت فيها مجريات القصص وتنامي الأحداث والتدرج في صنع العقد والفضاءة في انفراجاتها في أعماله القصصية والمسرحية الموجهة للطفل مع ما ألقى به الموروث الحكائي من أثر عميق في روع الكاتب من تقدير وما مني به من فتنة كأنما هي حمى أدبية يرتجى نقل عدواها المحببة إلى قراء الصغار، حيث يستشعر القارئ موقف الكاتب من هذا الموروث وهو ذلك الالتزام الذي يتجشمه حيال تسليم هذه الجدوة إلى الفئة التي تمثل الغد عبر كتابة تفاعلية تفي بروح الموروث وأفق الاستقبال لدى الطفل، فقد تطلع عز الدين جلاوي لأن يراعي فضول الأطفال وحاول أن يجاري نهم الطفولة فيهم فكتب أزيد من أربعين مسرحية وزعت على مجموعات، كما أسفرت تجربته القصصية على مجموعتين قصصيتين. وقد تلمس الموروث الحكائي العربي كما الشعبي طريقه إلى أعمال الكاتب بحلل مختلفة تنم عن إعادة بلورتها في السواد منها، وقد جاء على قلم المؤلف ذاته أنه نوع مصادرها من التراث حين أكد: ((أن كثيرا منها مأخوذ من قصص التراث العربي الذي لا نزال نسعى إلى استنطاقه واستكناهاه وسبر أغواره ومنها ما هو مقتبس من التراث الشعبي ومن الأمثال خاصة)) (جلاوي) حيث صمم الكاتب هذه القصص من وحي موارد هذه الأمثال ومضارها ثم إنه ألبسها حلة العصر بحيث تتقلص الهوية الزمنية والثقافية ويحسن تلقيا، فالكاتب لم يضيق الخناق على هذه النصوص التراثية في إعادة إنتاجها إذ جعلها مفتوحة على التلقي إن من حيث تقنيات السرد فيها أو سبل الحوار أو تنوع أوضاع الراوي وحتى في مسرحية النصوص وبناء الأحداث وتنميتها ودمج السرد مع المشاهد النصية المجسدة مسرحيا كما في اختيار لغة السرد ولغة الحوار، كل ذلك اعتمد على كون هذه المجموعات المسرحية والقصصية ليست موجهة لفئة قرائية ضيقة بل شملت ورافقت كل مراحل الطفولة بدعوة من الكاتب نفسه إلى احتضان هذه الأعمال الموجهة للطفولة من قبل المناهج الدراسية ودور المسرح والأقطاب الثقافية معربا

فصيح فاطمة الزهراء

عن حقيقة محاولاته الجادة في تحقيق أغراض تربوية وفنية، تاركا المجال واسعا للمؤطرين الثقافيين وتربويين من مخرجين ومنشطين ولجان قرائية في دواوين التربية للتعامل مع هذه النصوص بكثير من الحرية في التصرف وعيا منه بضرورة التماشي وسياق الحكى أو المسرح وضرورة مراعاة الظرف القرائي، بل إنه عبر عن تداول هذه الآلية في التأليف بحق التصرف حين قدم لأحد مجاميعه المسرحية الموجهة للطفل بأنه كتب هذه الأعمال ((تاركا المجال واسعا للمخرجين والممثلين ليكون لهم حق التصرف في تقديمها حسبما يتوفر لديهم من قدرات وإمكانات)) (جلالوجي، السيف الخشبي، صفحة 8) وفي ذلك اعتراف ضمني واضح بهذا الحق -التصرف- الذي استفاد منه الكاتب ذاته حين ما حاور وتفاعل وتماهى مع النص التراثي وحين مزج ما جاد به الموروث الحكائي العربي والمحلي بمخياله ضمن وصفات فنية طفولية المصعب ذات بال أقل ما يمكن قوله أنها ترتقي إلى الفن الذي ينبغي أن يبذل للطفل قارنا.

- تحديد العينة وإشارة إلى أصول الأعمال وملامح التصرف فيها:

اتخذت هذه الدراسة من بعض النصوص المستلهمة من التراث الحكائي والموروث ككل والمندرجة ضمن أعمال الكاتب عز الدين جلاوجي ميدانا للقراءة الوصفية محاولة لسبر الكم والنوع المتعلقين بهذه الطوائى النصية، وبيان علة هذه التغيرات المقصودة و المؤسسة والعفوية في ذات الوقت، حيث أن التصرف النصي نابع عن وعي كتابي وهو يحمل خلفيته من الشروط في هذا الوعي دون استظهاره في كل مرة وهو لذلك يعد واعيا وعفويا و أمرا واقعا وإن لم يكتمل البت النقدي فيه من عدة مناحي، ولذلك واتت فكرة البحث في ميدان لقاء ثلاثي بين الظاهرة التراثية وإستراتيجية التصرف ومتطلبات عملية التأليف للطفل، بغية وصف هذه الطوائى التي تنكفى في الأخير تحت أكمام إعادة صياغة الموروث الحكائي في قالب طفولي السمات.

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل (قراءة في كتابات عز الدين جلاوي

للأطفال)

على إثر ذلك توجب التركيز استهلالا على مرحلة هي العمدة في الاكتساب والاستثمار وفيها يقرأ الطفل وقد تحكم في زمام اللغة مشافهة وكتابة ومتأهب للنهل من مختلف المصادر وتوسيع مداركه الثقافية، ولعل هذا الوصف يتطابق مع الفئة الرحبة التي استهدفها المؤلف وصاحبت أفقه وهو يكتب إذ أعرب الكاتب أنه (لم يراعي فيها سنا بعينها بل هي تنوعت بين سن الطفولة الأولى على مقاعد الدراسة الابتدائية وبين الطفولة الأخيرة لتليق بطلبة المدارس الثانوية)(جلاوي، السيف الخشي، صفحة 7)، وفي هذا الصدد يجدر الإشارة أنه لا يمكن أن تكفي مثل هذه الوقفات الخاطفة للوفاء بمقاربة شاملة وإنما يستوجب فتح القضية على مصارع دراسات تطبيقية مفصلة ورحبة يكون لها من المساحات ما يستوفي حق الجمع والطرح والمقارنة أي جمع المادة الأصلية وتوثيقها ثم طرحها عبر مقاطع مقتطفة في المتن وكاملة في ملاحق يذيل بها البحث ثم السير المفصل في خطوات المقارنة من عرض لأوجه الشبه والاختلاف والقيمة المضافة والتقنية التي من خلالها صقل الفرع من أصله، إذ لا يمكن قطعاً لورقة بحثية أن تتحمل هذه الحمولة التي ينبغي أن تفرد لها بحوث علمية متسعة ومفصلة، فهذه النصوص التي سنعرج على ملامحها وملامح أصلها قبل التصرف دالة المرجع والمحتوى على فحوى الموروث بتصانيفه المتنوعة المصادر متفاوتة في درجات التوليف والتوظيف وبالتالي في درجة النقاء والقرب إلى الأصل، لكنها وردت لذات المقصد بأساليب مختلفة فمستلهمة أو منقولة حرفياً في مواضع حجاجية فاقتطاع جزئي منتخب ليساير وصفة قرائية خاصة لفئة خاصة وذلك مع استحضر حزمة من الإمكانيات المتوقعة، وفي الفقرات داخل الجدول محاولة لفهم الإستراتيجية التجريبية التي اتخذها المؤلف مطية في استنطاق التراث باللغة البينية التي يشاء وللغاية التكوينية التي يشاء دون أن يفقد فتنته ومهابهته -التراث- كما أنه فيما يلي محاولة لوصف خطوات الطرح التراثي عبر تدبير مواعيد خاطفة لأعمال جلاوي المسرحية والقصصية مع أصولها أو مرجعياتها من

فصيح فاطمة الزهراء

المتون التراثية المتنوعة في محاولة للمقابلة من خلال قياس المسافة بين الأصل الخام والعمل المبتدع عنه سواء أكان العمل موازيا له تماما ويسير جنبا إلى جنب معه عبر تقنيات توافقية تشتري ود الأطفال قراء أو كان العمل تخيليا ولكن على وحي مثال تراثي سابق تتراءى روحه ومخاييله التراثية من خلف معمار العمل وحمولته الدلالية

نتائج البحث:

إنّ أدب الأطفال انتقاء داخل الانتقاء، ولغة من ضمن لغة وأدب منتزع من أدب، فاللغة القصصية المقدمة للطفل لابد أن تختلف في بعض طرائق بسطها عن اللغة التي تقدم للكبار لاختلاف القدرات المعرفية والخلفيات الثقافية والتفاوت النوعي في مستوى الرصيد ودرجة المعجم ولايعني ذلك الحطم نقدر الكتابة المقدمة للأطفال أو شأن من يمارسها، بل يعني تحميل مسؤولية أكبر لأديب الأطفال فعلى هذا الأخير أن يتجش مدرسة ميولهم واحتياجاتهم وقدراتهم، ولقد استوعب حشد من الكتاب هذه المقتضيات في مرحلة حساسة ومهمة من تطور هذا الفرع من الكتابة، لعل من أبرزهم عز الدين جلاوي هذا الكاتب الذي وعى ضرورة تصميم اللغة التي تبني الصورة القصصية بشكل يوازي ثقافة الطفل وأثر تنوع الأساليب وأشكال التعبير ملاحقة منهل تلك الخيوط التي تجذب المتلقي الصغير، كما أسس للغة تتخذ بين مستويات التعبير سبيلا فلا تتميع في السهولة والسطحية استصغارا لشأن النظام التواصل اللغوي لدى شريحة الأطفال ولا تتعنت في استعراض فخامتها وتعقيداتها تحديا له أو إعجاز، فدرجة اللغة هي الحلقة الأهم في مستوى ونوع التبليغ والتخاطب مع هذا السن المبكر للطفل وهو ما فقهه المؤلف تماما واشتغل على ضوئه، وقد خلصت الدراسة إلى يلي:

- أنّ التصرف آلية منهجية وإبداعية فضلا عن كونها تكتيكا نقديا واستراتيجية تأليف تتطلب حدقا وحرزا واحترافا وجرأة في ذات الوقت وأن هذه الجرأة توفرت

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل (قراءة في كتابات عز الدين جلاوي

للأطفال)

لدى المؤلف وجسدت على أرض عينة الدراسة فكانت جرأة في محلها وذلك أنّ تلقي الطفل للموروث وأثر هذا التلقي أقدم من أي منهج أو متن.

- أنه لم تكن كل المصادر التي كتب عز الدين جلاوي من وحيها صريحة الحكيم أو منتمة لجنس الحكاية بل خرجت عن تخوم الحكيم من حيث الشكل التعبيري وليس من جهة فعل الحكيم، فشملت كل ما انتهج سبيل السرد من تأريخ و فكاهاة شعبية و موارد للأمثال وسير محكية أو قصائد تضمنت حكيا.

- تباين المسافة بين المتون التراثية الأصل والأعمال المستلهمة منها، وتنوع أدوات التصرف خدمة لتكييف الموروث مع استقبال الطفل.

- كانت عتبات أغلب الأعمال المسرحية والقصصية دالة الاستهلال منذ الوهلة الأولى على حمولة المتن التراثية صراحة وضمنا، في اعتراف ضمني للمكانة التي يفرضها المصدر التراثي على المؤلف للطفل وعلى الأجناس الأدبية والأشكال التعبيرية التي يصطنعها له .

لم تقف تقنيات التأليف لدى المؤلف على طرفي نقيض من الهدم وإعادة البناء أو النقل الذي يكاد يكون نسخا للتراث و إنما في الغالب اعتمد إعادة تشكيل وهندمة هذا التراث عبر استيعابه ثم صبه في قوالب فنية متباينة مع إضافة المتخيل الخاص للمؤلف.

أن المؤلف رتب أولياته أثناء تصرفه في المادة التراثية فقدم وعيه بالمقتضيات والشروط المنوطة بأدب المرحلة فغلب الالتزام على كل الخصائص رغم أنه ضم روح التراث إلى حياة العصر وشكله في مواضع عديدة.

ويبقى اللافت في هذه الأعمال عدم أفراد الموروث بتلك الفتنة بل إن المؤلف التف عليها مستفيدا من سحرها ثم إنه احتال لها كتابيا عبر المزج الفريد بين هذا الموروث وبين كل ما يستهوي الطفل القارئ من تحدي ومغامرة ومحاولة لكشف كل غامض وعجيب وكل ما حبب إلى الطفل في أعراق أدب الطفل .

فصيح فاطمة الزهراء

إذن فليس أدب الأطفال بريئا براءة الأطفال أنفسهم إذا ما أغفلت معاييرهم ومتطلباته أو غض الطرف عنها، فصار ممارسة عشوائية لمجرد استهلاك قرائي مهمل أو ساحة للزرع الأدلجات والتباشير الفكرية والعقدية التي يكتظ بها التراث كما المعاصرة، ولذا على الكتّاب للأطفال من واسع المدارك والآفاق أن يتركوا وجهتهم الخاصة ومرجعياتهم الحزبية أو العرقية أو الطائفية ساعةً و أن يرفعوا التحدي بأدب فذ رحب يحترم قراءه الصغار فلا ينصب كاتبه نفسه وصيا متحيزا وإنما مرافق مصغ ينأغي تلقيه فلا يصرخ في وجه هذا التلقي، فبذلك يضمن له نمو عاطفيا وذوقيا ثقافيا حرا إلى أن ينضج فكريا ويختار بذاته لذاته ما يرتضيه لها، لكن وجب أن يلحق التصرف الواعي ببعض حواشي الظاهرة التراثية والكثير من دهاليزها وأقبيتها وأن تحوّر الثقافات المشحون بها هذا التراث لتكون على عقارب ونبضات هذا الفرع من الأدب، فقد وقع على عاتق هؤلاء الكتاب مسؤولية إخضاع المتن التراثي المراد توظيفه لأدوات تضبط الرسائل التراثية على توقيت ومقاس أدب الطفل ومقتضياته التواصلية والفنية والموضوعية، فليس يعقل أن تتطابق القراءات التراثية للراشدين حذو النعل بنعل مع ذات القراءات لطلاب مراحل مدرسية متوسطة ومبكرة، بل إن القضية تتطلب تناسبا وتوافقا يفترض أن يكون سليل هذا التصرف النصي، وهو ما تم رصده تحديدا في كتابات عز الدين جلاوي الموجهة للأطفال، حيث خضعت المقاطع المقتطفة من التراث الحكائي لعدة إجراءات كان أهمها على الإطلاق الانتقاء الذي هو عمليا آلية تصرف تجنبنا التصرف في حد ذاته، يليه إعادة التشكيل من حيث الجنس الأدبي ثم التكتيف والذي هو ضرورة كمية لا أكثر إذ أن الطفل لا يملك طول نفس قرائية ويحتاط لنفوره وانصرافه عن النص بهذا الاقتصاد اللغوي وقد لعبت خبرة الكاتب وذوقه ووعيه بذلك الدور الرئيس في سداد صياغته المتزنة للموروث ودمج المتخيل البحت مع المتخيل الخاص .

التصرف في الموروث الحكائي من أجل أدب مكيف للطفل (قراءة في كتابات عز الدين جلاوي

للأطفال)

كل ذلك مع الكثير غيره قدم أجوبة مطمئنة إلى حد كبير، ولكن القلق حيال خطة عمل ونقاط إجرائية تكون محل إجماع يبقى قائما يفتش عن فرصة للتحقق، لذلك لا بد أن يبقى الباب مواربا لمزيد من التوسع في القراءات الراصدة والتنقيب عن نظرية تتكامل وتتسامى خيوطها كي ما تسفر عن إجراءات واضحة المعالم مقنعة النتائج عصبية على الجدل والتميع والارتباك، ترسم حدودا وتقدم أدوات تصلح كاحترازا قبلية وللتقييم البعدي والتقويم ختاما، فلا تترك العملية فريسة لتجارب سريرية تودي بأجيال قرائية باهضة وحاملة وذواقة من المنطق أن ترتبط أحلامها وأفاقها بقراءاتها الراهنة .

قائمة المراجع

- إبراهيم, م. (2014). *المعجم الوسيط*. مكتبة الشروق الدولية.
- آمنة, ر. (2019). *التكييف في ترجمة الفيلم الوثائقي. مجلة الترجمة و اللغات*, 18(02), 163.
- بوعلاق, ح. (2017, 12 31). *التكييف في ترجمة الشعر الموجه للأطفال* (أحمد شوقي أنموذجا). *مجلة العلوم الإنسانية*. 28(04), 143.
- جلاوي, ع. ا. (2002). *الثور المغدور*. الجزائر: دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع.
- جلاوي, ع. ا. (2005). *الليث والحمار*. الجزائر: دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع.
- جلاوي, ع. ا. (2018). *السلسلة الذهبية*. الجزائر: دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع.
- جلاوي, ع. ا. (s.d.). *الدجاجة الصنيورة*. الجزائر: دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع.
- جلاوي, ع. ا. (s.d.). *السيف الخشبي*. الجزائر: دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع.
- جلاوي, ع. ا. (s.d.). *عقد الجمال*. دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع.
- جلولي, ا. (2003). *النص الأدبي للأطفال في الجزائر*. الجزائر: دار هومة.
- جلولي, ا. (2010). *حضور التراث في أدب الأطفال "القصّة نموذجاً. مجلة الأثر للأدب واللغات*. 123, (9).
- حسين, ح. م. (1988). *التراث العربي الإسلامي*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- زيد, أ. أ. (1998). *التراث العربي التجدد الدائم رؤية أنثربولوجية*. الشارقة: منشورات دائرة الثقافة العربية و الإعلام.
- عروة, ع. (2000). *النثر الفني القديم*. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- منظور, ا. (1992). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.